جسر المحبة على نهر اللوار

(إلى عابد عازريه ، ذكرى رحلة في فرنسا)

يوم تكبرين سآخذك معي
يا ابنتي يا حبيبتي
يوم تكبرين
أكون قد أتممتُ خامس الأناجيل
وقدمته إلى الضابط الأنيق الصارم
في كتيبة مراقبة الورد والمطبوعات ..

آخذك معي .
تكتبين اسمك على منتصف الجسر

على مرتطم الليل والنهار
على الندبة التي تدرز الحياة بالموت
وحلبة الرقص بأقدام الديكة المذبوحة
تكتبين اسمك
بالحروف العربية الرائعة
المكتنزة بالأسرار والعشق والشموس
تتحسسين بأطراف أصابعك الشفافة
عشبة ساذجة على الجدار العتيق ..
ورغم ضجيج المقاتلات النفاثة
يهبط في مواقع الانزال ملائكة ثلاثة
الأول لك
والثاني لي
ولك الثالث
أما المحبة . يا ابنتي يا حبيبتي
فقد صرفت ملائكتها الى أشغالهم اليومية ..
تتوقف فلاحة فرنسية عجوز
كدمعة كبيرة، على الاسفلت اللامع

ـ من أين أنت يا طفلتي الجميلة ؟

ـ أنا من جسر دامية

تعطيك تفاحة وقرنفلة وأيقونة

تعترف بجهلها ثم تمضي ،

لتزور العزير جان في المقبرة العسكرية ..

لوار لوار

هذه النوتة الموسيقية الرشيقة

هذه القافية المشبعة بالندى والحنين والألفة

هذا الفالس الحالم المتهدج على السهوب والسواقي

هذه الزهرة هذه الطفلة

هل تستحق كل هذه القذائف

وكل هذه الدموع ؟

تنامين من التعب

في غرفة الظل والسكينة

تحت شرفة الأجاص والقرميد والعنب

وتستيقظين لتقصي عليّ حلم بروكولا

لكن بيلاطس التعيس

محجوز في مقر الأمم المتحدة
٢٥ ساعة في اليوم الواحد ..
قالوا « علينا دمه »
قالوا « علينا وعلى أبنائنا دمه »
وتراجع العشاق المساكين
عن جسر اللوار المرتجف
كشيخ يخفي بكاءه النادر ..
انهم قبور مطلية بالكلس والحسرات
هؤلاء الكهنة ذوو البزز الزيتيه
الصاخبون في عيد زحل
هؤلاء القادمون بسيف الموت
بأكليل الفولاذ والشوك والأسلاك الشائكة
يا حبيبتي يا وحيدتي يا ابنتي
ستكبرين.. وآخذك معي
سترمقك الشعوب بشغف كبير
سيسألني سائحان عجوزان من لوس أنجلس
وطالب من ساحل العاج

وبائع الفطائر الفرنسي
وسيسألني مهرب المخدرات
وشرطي المرور :
ـ أهي ابنتك ؟
وسيكون حزني وقورا متحفظاً ،
ولكن مليئاً بالحب
وأنا أرد على جميع الشعوب
ـ ها أنذا قد أتممت خامس الأناجيل
ها أنذا قد أخذتها إلى جسر المحبه
على نهر اللوار..

(الاتحاد ـ ت ١ ـ ٧٢)